

شہدائے حقیقہ

پروفیسر محمد علی

۱۹۶۷

مقدمة

عفة النفس وطهارة الجسد والروح ونقاء القلب في السر والعلانية من سمات أبناء الله ، بدونها لا يمكن أن نرث ملكوت الله أن نعابن مجد الإبن الوحيد ، ولا يمكن لأحد أن يدخل إلى فرح السيد إلا إذا كانت ثيابه بيضاء ناصعة البياض ، والروح القدس لا يسكن إلا في هياكل نقية .

وبعد فهذه قصص شهيدات طهارات يعتبرن مثلا عليا في العفة والطهارة حتى ان العذارى القديسات منهن حظين بأكاليل الشهادة وأكاليل البتولية . . . من عرائس طهارات للمسيح حافظن على طهارتهن إلى أن تم زفافهن في الملكوت السماوي حيث ينعمن بتهايل الملائكة والقديسين .

جيل من الدهر كان فيه الجهل يحكم الناس والقضاة يحكمون بالباطل ويحرضون على الفجور . وإتيان المعصية في نظرم يستحق المكافأة ، والمباديء الفاضلة والعفة المسيحية جزأهما القتل وسنرى في هذه السير صورة هذه العصور المظلمة إذ أعمت عبادة الأوثان أذهان الجميع وبأدوا في ضلال فظيع ، ومع كل



حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الانبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

هذا إنتصرت الفضائل المسيحية والمبادئ الاخلاقية التي هي
مهاد الأمم وعنوان رقيها .

بهذا الإيمان كانت المؤمنات بالمسيح في القرون الغابرة
والقديسات اللاتي يقمن فريسة الإضطهادات أو الحروب يحتشن
ويضربن أرواح الامثال في العفة بالرغم مما يعترضهن من الضيقات
العديدة - وما هذه الفحص التي تسوقها إلا أمثلة رواها
الأقدمون تزيين ذلك .

نعم كان من الضروري جداً في وقت من الزمان أن تبخر
العذارى وغيرهن الأوثان فإذا ياترى يكون موقفن ؟ هل
يتظاهرن بالسجود للأوثان وفي الوقت نفسه يحافظن على
أمانتهن ؟ كلام يمكن ذلك موقفاً سليماً .

إن تمادى عبادة الأوثان في الفطرية والنعاد والفجور
ومجوردم لأله الذهب والفضة والنحاس والحشب والحجر كانت
هي السبب في إستفحال شرهم وإشتعال نار تعذيباتهم المبرحة حتى
الموت لكل النفوس التي تعرف الحق ولا تتخل عنه . . .

نعم ترهب الأرض ولكن بخلص الامناء وإن ماتوا تنلقام
أحضان القديسين ، فالمت ربح للنفوس المحبة للمسيح ، وليس

هو موت بل إنتقال ، وكما يقول سفر الرقيا : « هنا صبر
القديسين وإيمانهم ، رؤ ١٣ : ١٠ .

إن فتيات صغيرات لم يحدن عن الحق ووقفن في وجه أفوى
الجهال الذين كانوا يحاولون أن يماقنوا أنوار المسيحية بفجورهم
في سالة نادرة وإيمان ثابت ولم تستطع قوة ما أن تززع ثباتهن
وتنتزع صبرهن .

إنهن لئن درساً أن الناس لا يباعون ولا يشترون ، وعلن
الكافة كيف يكون ضبط النفس وقمع الجسد والخضوع للتعالم
المسيحية لتقديس النفس والمحرص على تنفيذ وصايا المسيح .

وقد أظهر الله قوته وحكمته . فهم بطغيانهم وفسادهم قاوموا
الله ففشلوا وكان فشلهم عظيماً على أيدي عذارى ضعيفات لكن
كن مؤمنات حتى النفس الأخير منتبهات إلى قول الكتاب :
« كن أميناً إلى الموت فسا عمالك إكليل الحياة » .

إن القديسات المذكورة أسماؤهن في هذا الكتاب قد جهل
التاريخ الكسى لهن أرواح المواقف إمتزن بالعفة والإيمان والرجاء
والحبة الكاملة في الرب يسوع حتى الموت والإستشهاد .

من سيرة القديسة بورتا ميتا العذبة ترى كيف أنها وهي أمة

لم تخضع لرعبه ، وولاهما بإرتكابها معه الخطية ولم يشط عزمهما
تسليمها للوالى أرتديها بأشد أنواع العذابات والتنكيل بها
ياقائما في الزيت المغلى ، وكان طلبها الوحيد إلى الوالى ألا تنزل
لدى قدر الزيت المغلى وهى عارية ، وكانت فصتها سبباً لاستشهاد
كثيرين منهم القديس باسيليوس الجندى الذى كان مكلفاً بحراسة
القديسة يوتا مينا .

وفي سيرة القديسة تيؤدوره تظهر سراحم الرب يسوع
بوضوح حيث دبر لها طريقة لتجديتها ، فبعد أن أدخلت إلى بيت
شربير أرسل الرب لتجديتها ديديموس الشاب وقد تزيا بملابس
جندى فلبست ملابسه وخرجت طاهرة عفيفة ، أما هو فقد
عرفت حيلةه وضرب عنقه .

أما قصة توما ييس فهي قصة شابة كانت تقيم مع حميها الشرير ،
كان أسيراً لشهواته سولت له نفسه الدنيئة الخطيئة معها ولما
صدته ضربها بالسيف ...

والقصة الاخيرة قصة الراهبة فيرونيا التي لم تفرط في عفافها
ودبرت حيلة مؤداها أن لديها دواء يمنع السيوف من أن تعمل
في الرقاب وطلبت أن يعبروا هذا الدواء فيها ، ولم يكن سوى

القليل من الزيت المقدس ذهبت به رفقتها وقدمت نفسها للسياف ،
لأستل سيفه وضرب عنقها بقوة فطارت رأسها في الهواء وهكذا
فاضت روحها الطاهرة واستقرت في فردوس النعيم .

لقد مضى على هذه القصص القرون الطويلة ولكن ذكرها
سوف يظل إلى الانقضاء . إن في هذه القصص لمسة لكل
الاجيال ، كما كان لنا في قصة يوسف الذى رفض الخطيئة وصرخ
في لإمرأة سيده وقال لها : وكيف أصنع هذا الشر العظيم واخطيء
إلى الله .

يوسف حبيب



١ - الشهيدة بو تامينا العفيفة^(١)

ميلادها ونشأتها

فتاة مسيحية طاهرة عاشت في الاسكندرية في أيام العلامة أوريجانوس (٢) . كانت أمه ، ربتها أمها مارسلا على قواعد الايمان ووضعتها تحت إرشاد العلامة أوريجانوس لكي يتم البناء الذي بدأت به أمها .

كانت بوتامينا فتاة بارعة الجمال ، وكانت أمة مسكينة تخدم مولايها الذي كان يتمتع ببراءة فاحش . وكان يحيا حياة الترف والبلخ ، تحسده في حروف الله وبالخلاص نام كما كان يفعل يوسف لما كان خادماً في بيت فوطيفار . أخذ الشيطان يزير لمولايها طريق الشر . وأل قلبه الشرير بكل الامكار الدنسة نحوها ، وأخيراً لما استبدت به شهواته أخذ يغريها نارة بالوعد وطوراً بالوعيد . وكان يرضها على السقوط ولسكتها قارمت

(١) مصادر البيرة عن كتاب

الجزء الأول «The Paradise of the Holy Fathers» .

ومروج الأخبار وتاريخ الكنيسة للمتيقن القس مفسى يوحنا .

(٢) ولد بالاسكندرية سنة ١٨٥ م وتبع سنة ٢٥٤ م .

إغراءه بعزم ثابت وكانت تصرفاتها عفيفة لا ترضى الخطية ولو لإصطر الأمر إلى الموت ، وذعبت حبل مولايها ومشوراته أدراج الرياح .

حقد وانتقام وتعذيب

كانت الشهوات تتأجج في قلبه الشرير مثل نار ، خصوصاً وإنها كانت في خدمته وأمام عينيه ، وكان يزداد في تهديدهاته بصنوف التعذيب والتكيل وهي تزداد صلابة وإيماناً بالرب يسوع الصابط الكل . وأعيته كل الحيل وكان يتميز غيظاً وشكا أمرها إلى والي (١) الاسكندرية بأنها مسيحية وبأنها ضد الحكومة وتقاوم أوامر الإمبراطور وأظهر لاستعداده لدفع مبلغ كبير من المال للوالي إن أفلح في استمالة قلبها إليه مرة ثانية وطلب إليه أن لا يحكم عليها بالعذاب الا في حالة إصرارها وثباتها ، وعندئذ له أن يقوم بتعذيبها بأقسى أنواع العذابات التي تروق له فلا يجعلها ترى نور الحياة .

وأمام ثباتها أمر الوالي بتعذيبها بمختلف أنواع العذاب

(١) ذكر كتاب للروح أن الوالي يسمى أكبلا .

لكنها كانت تحملها بصبر كامل مسلة الامر للرب يسوع الذي
كان يقربها والذي قال : « ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد
ولكن النفس لا يقدر ان يقتلوا ، بل خافوا بالحرى من
الذى يقدر ان يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم ، مت ١٠ : ٢٨ .

المحاكمة :

ولما مثلت أمام القاضي استعمل معها جميع الوسائط الممكنة
لإغرامها ولكن كل طرقة معها لم تنجح مطلقاً وكانت متمسكة
بقول الكتاب : « من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » . هدها
بعذاب اليم وألقى في روعها الإذعان اولى من استمرار التشكيل
بها ، لكنها لم تلتفت الى شيء من كلامه ، أخيراً فكر في عذاب
كان يخاله أنه يرعبها للدرجة الاستسلام والارتداد . . . أمر
بإحضار قدر مملوء من الزيت وأذن أن يوقدوا تحته ناراً شديدة
ولما كان الزيت يغلى ولهب النيران يرتفع صاح القاضي في وجه
القناة مظهراً الشفقة عليها قائلاً لها : « هلا ترعى نفسك وتدعى
لامر مولاك فيما يريد ؟ ، وأعلمها انه في حالة اصرارها على
عصيان مولاها تطرح في هذا القدر بعد إعادة التعذيب (١) .

(١) عن كتاب « فردوس الآباء القديسين » الجزء الأول .

تهددت كثيراً وقالت ، كيف تحمك أيها القاضي بأن أفضل الخطية ،
أتأمرني أن أصير زانية وأنا عبدة وخادمة لرب يسوع المسيح
مخلصى الذى مات على خشبة الصليب من أجلى والذى سوف
أقف أمام عرشه يوم الدينونة الرهيب حيث يجازى كل واحد
حسب أعماله ؟ . .

لم يجد وسيلة تجدى معها فأمر أخيراً بإيقامها في الزيت المغلى .
أما القديسة فقد طلبت الى القاضي أمراً واحداً قبل تنفيذ
الحكم . قال : « ماذا تطيبين ؟ ، لقد استعملنا معك كل صنوف
الترغيب وكل صنوف التهديد والتعذيب فلم تفلح لقساوة قلبك
فاذا تريدن الآن ؟ . . .
أجابت القديسة :

« استخلفك بحياة الملك الذى تجله أن لا تسمح بزعم أموانى
كى لا أظهر عريانة وعوضاً عن هذه النعمة التى تقتضيها منى
فضيلة الاحتشام أرضى أن انزل رويدا رويدا فى القدر بأموانى
لكى تدرك مقدار الصبر الذى يمنح لى مخلصى يسوع المسيح
وأنت لا تدريه . . .

إن هذه العفيفة الطاهرة حتى اللحظات الأخيرة وهى تنزل

الى قدر الزيت المغلى وتنتهى حياتها لم تشأ أن تتخل عن
حياتها الكبير .

حقاً إن المرأة إذ تستهتر تخلع ثيابها وحياتها معاً . إن مثلها
مثل الحوم التي تسلك من جلودها عندما يذبحها الجزار ، لكن
جزار الشهوات - وهو إبليس - لا يذبح بألم لكن بلذة ١١ .

وإذ تحدث عن عفاى هذه الفتاة القديسة البارة الجمال
تطلب الى الرب يسوع أن يرحمنا كعظيم رحمته ، وإن يحفظ
احتشاشنا وحياتنا .

استشهاد القديسة

كانت القديسة تصلى لكي يسترها الرب وتقبل اليه وتقول :
يا إلهي يا من تحجب السماء بالحجب وتخفى الأرض بظلام
الليل ، لا تدع أحداً يبصر جسدي عارياً ... ، وافق الوالي على
طلب القديسة بأن تنزل الى قدر الزيت بثيابها وأمر أن تسلّم
للجلادين ، وساروا بها الى موضع العذاب وتعرض لها أراذل
الناس بالكلمات الفسفة فزجرهم أحد الذين كانوا مكلفين
بجراستها ويده عن باسيليوس الجندى الذى حافظ عليها حتى وصلت
الى المسكان فلما شاهدت منه ذلك قالت له : « تدجع فإنى سأصلى

لأجلك لكي تنال الشهادة من أجل السيد المسيح ، .

استمرت النيران تحت القدر لمدة ثلاث ساعات وأنزلوها
الى القدر وهى تظهر صبراً مذهلاً حتى تيقن الجميع ان نعمة
يسوع المسيح ترفع خدامه فوق أقصى العذاب وأشدّه ، وتبيل
انه ما أن بلغ الزيت الى قمة رأسها حتى أسلكت روحها الطاهرة
بيد القدير ، واستشهدت أمها مارسلأ أيضاً حرقاً فى ذلك الوقت .

أما الجندى باسيليوس فقد أمر فيه هذا المشهد كما أمر فيه
صبرها العجيب فقد أمّرت هذه الميتة عن أن تلتخ جسدها
بالدنس ، فأمن بالسيد المسيح وقدم نفسه للاستشهاد معترفاً
بالسيد المسيح جبراً قائلاً أنا مسيحي ، فظنه الأغبياى فى بادئ
الأمر أنه يمزح لكنهم لما رأوه ثابتاً على الاعتراف بالإيمان
تجهضوا عليه وأثروا به الى القاضى فطرحه فى السجن ، فأنى المؤمنون
يفتقدونه وبعد ذلك نال سر العماد ، ولما سألوه عن كيفية
قبول الإيمان أجاب : « ان القديسة بونا مينا ظهرت لى فى رؤيا
بعد موتها بثلاثة أيام ومعها إكليل وضعت على رأسى وهى تقول :
« ستلتحق بى بعد قليل ، « وفى اليوم التالى اعترف بالسيد المسيح
اعترافاً مجيداً وقطعوا رأسه .

وروى تزوليانوس وأوريجانوس أن عدداً عظيماً من
الوثنيين شرب دفا الجندي اعتمدوا عندما رأوا ثبات القديسة
بوتامينا وصبرها منهم أونويروس أحد علماء البلاغة المشهورين
بين كتاب الأجيال الأولى الذي شاهد القديسة بمجد في حلم .

وكان استشهاد القديسة بوتامينا وأماها مارسلا في أيام حكم
سبتييموس ساويرس (١)

• Septimius Severus •

بركة صلواتهما تكون معنا آمين .

(١) استولى على العرش سنة ١٩٣ م . ولا استتب له الملك وقد على
مصر وأخذ يتجول في أمثاتها حتى وصل إلى مدينة طيبة . وقد هاله الا تقبل
السريع الذي أحرزته الديانة للسيجة وخشى على الملكة الرومانية فأصدر
أوامره لقيتوس والى مصر الروماني يجر ذلك الدين . وبذل الرأى جهده
ليجمل الاضطهاد سابقاً طبقاً لرغائه حتى هم جميع أنحاء القنطر للمصرى الا ان
النفط الشديد كان في مدينة الاسكندرية يتوج خاص لأنهم كانوا يمتدحونها
مركزاً للديانة المسيحية ، ومن شدة هول الاضهاد الذي دام طول مدة بقاء
القصر بمصر تشقت شمل تلاميذ المدرسة اللاهوتية ولازموا بيوتهم وفر
استأقنوا إلى خارج البلاد لينجروا بحياتهم وأغلقت المدرسة أبوابها .

وقد شهد اكلينطس الاسكندري انه كان عدد عظيم من المسيحيين
يستشهدون يوماً بمقاسين أنواع العذاب وقال إن كثيرين منهم كانوا يصلون
أو تطلع رؤوسهم أو يجرعون أمام أعيننا =

٢- الشهيدة ثيودورة الاسكندرية (١)

ميلادها ونشأتها :

ولدت بالاسكندرية في نهاية القرن الثالث من أبوين
مسيحيين من عظماء البلاد ، منحها الرب مسحة من انجال الفانز
واتصل خبر جمالها البارز الى أولاد الاشراف فكان كثيرون
يريدون الزواج منها ، أما هي فكانت قد نذرت نفسها لله ، ولم
تكن لتخرج من منزلها الا للعبادة بالكنيسة لتسمع الوعظ
وتتناول من الاسرار المقدسة ، وبقى الوقت تفضيه في منزلها
مواظبة على الصلاة وقرائة الكتب الروحية وعمل اليد .

تقديمها للمحاكمة :

اشتهر اضطهاد دقلديانوس على المسيحيين وكانت ثيودوره

== واستمر الرأى الروماني بمصر يجذب المسيحيين سبع سنوات
ويوقع بهم صنوف البلايا فكان يهجم على الرجال والنساء في بيوتهم فجأة
ويخرب عليهم ويحرقهم الى مكان القتل وهناك تتعلم رؤوسهم بعد أن
يفوقوا أمر عذاب ، وبعضهم كانوا يلتمون في السجون ويقون بها حتى
تفتك بهم الأمراض ...

(١) عن مخطوطة سير قديسين بدير البرنوس تاريخها ١٢٩٩ ش ،
وعن مروج الأخبار وتاريخ الكنيسة لمسي يوحنا .

قد بلغت السابعة عشرة من عمرها ، ولما شكرها انها مسيحية
سقت الى الوالى ركولوس ولما مثلت بين يديه إنذهل الحاضرون
من بهاء جمالها المقترن بالأدب والخلق ، ولما تحقق بشهادة
التول نفسها والحاضرين انها مسيحية شريفة النسب ورفق قلبه
لشائها وأخذ يلاطفها بادية الامر لانه رجسها من ربات
الترف والتعم من أسرة كريمة واسعة الثراء وقدم لها نصيحة بأن
تسك مسيحتها وتقبل على الزواج وهى فتاة تتمتع بحمال بارع
ونسب شريف .

أجابته الفتاة : هـ إن وعدت أن أكون عروساً لواحد فقط
هو سيدى يسوع المسيح وانذرت عفى له الذى مع كونه إلهما
صار لإنسانا واقعدانا بموته المقدس ووعدنا بالحياة الأبدية إن
ثبتنا فى الإيمان واقنا على البر .

قال لها الوالى : هـ أما تعلمين بالامر الصادر بالتخير للأوثان
والاستطرحين فى دور البغاء ، وكانت الفتاة واثقة بأن المسيح
سيحفظها ويحفظ كل الذين يخلصون له العبادة من كل شرودنس .
وأطال الوالى الحديث مظهراً الشفقة على مصيرها البائس
إن استمرت فى صلابتها ومباتها على الإيمان المسيحى لكنها

كانت ثابتة مثل الصخر ومؤمنة بخلص الرب العجيب ، فأجابت
بأنها لن ترجع عن عزمها ولو قطعت إربا وانها واثقة بأن السيد
المسيح الذى من أجله تقدم نفسها للموت يحفظها فى
الإيمان والعفة ...

قال الحاكم : إنى احزن على جهالك وعنادك واعطاهما مهلة
ثلاثة أيام ، فقاطمته قائلة : وهب أن الثلاثة أيام قد انقضت
واقبل ما تشاء من تعذيب اسكن مر بأن تكون طهارتى فى أمان .
وشاع خبر شجاعة ثيودوره فى مدينة الاسكندرية كلها وكان
الوثنيون يمدحونها كثيراً .

سقت الى الوالى وفى غيظ وغضب شديدین أراد الانتقام
منها لما رأها مصرة على رأيها ، فأمر بأرسالها الى أحد دور الفساد
وهكذا سمعت بأذنها ذلك الحكم الباطل الجائر ... الوالى يحيل
فتاة طاهرة شريفة الجنس الى أماكن الفساد !!!

كانت الدموع تنهمر مدارراً من عيني الفتاة وهى تتضرع فى
ضيقها العظيمة الى السيد المسيح الرب القادر على كل شئ ليدبر
لها طريقة لإفادها وكانت تقول مع المرنم داود ، كثيرة هى
أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب ، كانت تصرخ

من أعماق قلبها وتقول أيها الرب إلهي إنك لا ترضى لي بهذه
النهاية أنا المشتاقة لتقديم نفسي اليك شبيدة ، اصنع معي آية
صالحة وليخز جميع المنافقين ...

ولما ادخلت الى منزل يدار للفساد كان بسكاؤهما لا ينقطع
ونحببها لا يكف وان الرب المتحن استمع الى صوت صراخها
ودبر لها طريقة عجيبة لتجانها بواسطة شاب مسيحي يخاف الله
وهو ديديموس .

أرشده الرب ليحفظ الفتاة وكان يرتدي ثوب جندي ويتقلد
سيفاً ، ومضى مسرعاً الى مقر ثيودوره ، ما أن لمحته حتى دب
في قلبها الخوف والرعب فبدأ روعها وخاطبها قائلاً : لا تخافي
إني أتيت اخا للاحافظ على طهارتك فافعلي ما أشير به عليك ،
تبادل أثوابنا ، ألبس ثوبك وأنت تلبسين ثوبي وتخرجين متسكرة
بهيئة جندي وبهذه الوسيلة تفقذين بتوليتك من أبدى الكفار ،
فارتضت البتول بالمشورة وارتدت زيه وتقلدت سيفه وسرت
وجبهها كمن يستحي من أن يعرف الناس عن خروجه من مكان
ردي ومضت وتركت ديديموس في مكانها .

لكن بعد قليل انكشف تدبير ديديموس فقدم الى الحاكم

بشوب القديسة فسأله الطاغية قائلاً : من أرسلك لتخالف أمر
القيصر ، فأجابته : ان الإله الذي أعبدته هو الذي أرسلني
لاصنع ما صنعت ، فقال له الحاكم : ان لم تخبرنا أين تكون
ثيودوره فوثناً تموت ، أجابه ديديموس ، لست أعلم عنها شيئاً
إلا أنها خرجت من بيت البغاء نقية طاهرة ، فسأله الحاكم عن
اسمه ومذهبه قال : اسمي ديديموس ومذهبي مذهب التصاري
وكتت مقيداً بسلاسل الآثام لخلق السيد المسيح واطلقتي بنعمته ،
فأمره أن يسجد للأصنام فأبى ، ولما رآه ثابتاً في إيمانه أمر بقطع
رأسه وطرح جسده في النار .

استشهاد ديديموس والفتاة

سمع خبر الحكم في كل مكان وبيننا كان الجند يسوقونه لمكان
الإعدام رقيب ثيودوره تجرى خلفه بسرعة حتى وصلت اليه
وقالت له بلهجة العتاب : لماذا يا أخى تأخذ لكليلي ، فقال
لها : اذكرى يا اختي إحسان اليك ولا تكافئيني عليه بعدم
المعروف لاني لم أكن أروم بما فعلت إلا ان أنال حكم الموت
لاجل مخلصي لحكم به على لا عليك ، فأجابته أنها لا تود ان
ياخذ لكليل الإستشهاد وحده وهي لاشم قالت : دعني على

٣ - القديسة توما يوس^(١)

حياتها الأولى

هذه القديسة من قديسات القرن السادس كانت تقسم في المنطقة القريبة من الاسكندرية وكانت متزوجة حديثاً ولم يتجاوز عمرها ثمانى عشرة سنة وكان زوجها يكذب ويعمل ليلاً ونهاراً في صيد السمك ويتغيب عن المنزل في أوقات كثيرة ، وكانت الشابة تمتاز بحسن الخلق والخلق تخاف الله وتهتم برعاية منزلها ولا تغادره ، وكان هوها يعيش في نفس المنزل تحت سقف واحد .

كان زوجها ينصرف إلى عمله ويتغيب كثيراً وهو مطمئن القلب هادئ النفس على زوجته البسابة لأنه لا يتركها بمفردها تتأهبها الوحشة والسامة والممل أو الخوف والقلق الذى كثيراً ما يستحوذ على من يقيم بمفرده . كان مطمئناً إذ تقيم مع والده ويعود متى شاء . وخيم السكون والهدوء على هذا المنزل إذ

(١) عن المخطوطة رقم ٢٨٠ دير السريان (كتاب سير الرهبان)
• Vie et Récits de l'Abbé Daniel •
par Leon Clugnet .

الأقل أن أسبقك الى أخذه ، واستمرا يتجادلان من منهما يتقدم الآخر الى الموت .

دهش الحاضرون دهشة عظيمة وكثيرون منهم إنهمرت دموعهم لهذا المنظر المؤثر وتعجب الوالى نفسه إلا أنه لم يجرؤ أن يطلقهما خوفاً من القيصراً فأمراً بقطع رأسيهما وهكذا نالا إكليل الشهادة ، وكان استشهادهما سنة ٣٠٤ م .

بركة صلواتهما تكون معنا آمين ٩

+ + +

كانت الفتاة مثالا للرداعة والمحبة الطاهرة ، تكرم حميها وهي راضية سعيدة في حياتها تتوفر على خدمة زوجها وحميها . . .

لكن العدو كان يحول كأسد زائر يريد تدمير عش الحياة الزوجية والقضاء على سعادة الفتاة تلك الإهرة اليانعة . كان العدو يسير حاسداً وكان حوما الذي تقدمت به السنون به لوثمة شر وكان يعيش في الزياء والغش ، لم يجد إبليس منفذاً إليها الا عن طريقه لأن كل الأبواب الأخرى كانت موصدة أمامه . كانت المسكينة لا تدري أنها تسكن مع ذئب متدمر بشباب حل ، لا يخطر على قلبها أن رجلا في مثل سن أبيها يكون على خلق وضيع . . . ينظر رديتاً ويفكر رديتاً وهو يتكلم بالصالحات .

إقدام حميها على الشر

وفي ليلة من الليالي اتهم الشرير الفرصة وتقدم إليها يحدثها حديثاً كان وقعه وفتح الصاعقة في نفسها الطاهرة وفي وحشية أراد أن يفتنصها ، ولما قاومته بمنف حنق عليها وفي ثورة الشهوة التي أعمت قلبه دبر في ارتكاب جريمة أخرى لأنه هكذا تنسلسل الجرائم ، والخطايا تجر الى غيرها ، ومن ينسلك في طريق الشر بلا رادع يردعه يردد شرراً حتى يشرب الإثم كالماء ، ولا يزال

قصة سقوط داود النبي المنتدم في الأيام عظة للأجيال ، فليس عامل السن يمنع من الردى في الخطية . . . يوسف الشاب نجح في التجربة وداود الشيخ سقط . . .

كان هناك سيف معلماً عند فراش ابنه ، أخذه الشرير وهددهما به وفي خيسته ودنائه و غضبه ضربها به فوقعت ميتة تنخبط في دماغها .

ارتكب الشرير هذه المجازاة المروعة وهكذا قضى على سعادة ابنه كما قضى على حياة الزوجة الشريفة .

قصاص الرب من المهجوم

أعلن الرب قصاصه السريع وانتقامه الفوري من ذلك المهجوم فغضبه بالعمى . إنقشر الخبز بين الجسيران وسرعان ما ابلغ الزوج بالحادث ، انتقل على الفور الى منزله ليجد الشابة جثة هامدة . أما الأعمى فقد سبق الى القضاء حيث زج في أعماق السجن ليقتضى بقية حياته بين جدرانها .

كان الرهبان يعرفون سيرة هذه الشابة الطاهرة وكثرة ترددها على الكنائس والأديرة ، وسرعان ما إنقشر الخبز بين

صفوف الرهبان ووصل الى مسامح الانبا دانيال قص برية
شبهت نفسه .

ويروي أن هذا الحادث كان له أثر قوي في نفس الانبا
دانيال حتى أنه رأى تحليداً لذكرى هذه الفتاة القديسة أن تدفن
في مقابر الرهبان ، وقد اشترك في جنازتها عدد ليس بقليل منهم
لاعرض آباء دير (الكتوزيكانون) أو دير الثانية عشر ميلا (١١) .
انه لا يجوز أن يدفن في مقابر الآباء جسد امرأة وبالخاص
لامرأة مقتولة ، لكن الانبا دانيال أفهمهم أن هذه الشابة ماتت
وهي تدافع عن طهارتها وخلق بالرهبان أن يكرموها لجهادها
من أجل العفة فافتتح الرهبان ودفنت في مقابر الآباء .

وقد وردت القصة التالية في كثير من المخطوطات بعد قصة
القديسة توماييس وتتضمن أنه في بعض الايام جرب أحد الإخوة
بالخطية فذهب الى القديس الانبا دانيال وكشف له أمره فقال له
الانبا دانيال يا ابني اذهب الى الدير الذي دفنت فيه توماييس

(١) انظر فصل الأديرة البلية في كستانبا « الأبا دانيال القديس »
وهذا الدير يبعد ١٨ ميلا عن الاسكندرية كما يفهم من نسبه اليونانية
وموقعه بجوار بلدة العامرية ويرجع تاريخه الى القرن الخامس وكان عامرا
في القرن السادس كما يعلم ذلك من سيرة القديسة .

ثم اجعل مبيتك ومقامك فوق مدفن الآباء هناك وصل قائلا :
« يا إله توماييده العفيفة اعني ونجني وإني أؤمن انك مستخلص
من هذه المحنة . » فقام الأخ وعضى الى الدير الذي دفنت فيه
القديسة وفعل كما أوصاه الشيخ وبعد قليل بطلت التجربة عنه
وشهد للقديس الانبا دانيال وقال : « يا أبني إن عتقت بقوة الرب
يسوع المسيح وبمحن صلاتك . فساله الانبا دانيال كيف تم
ذلك ؟ فقال له : « اني كنت مداوما الانسحاق والصلاة وعمل
المطانيبات ، وبعد أن نمت ظهرت لي القديسة وقالت لي :
« يا راهب خذ هذه البركة وامض بسلام الى فلانتك ، فلما
أخذت البركة خف القتال ووثقت اني محررت منه ، فقال له
الانبا دانيال : « كل من جاهد من أجل العفة يكون له عند الله
دالة عظيمة » (١) .

بركة صلاة هذه القديسة تكون معنا آمين ؟

(١) من القديسات اللواتي دفن في الأديرة القديسة ابوليتساريا ابنة
الإمبراطور الروماني اونيشيموس الكبير وكانت ناسكة في زمان القديس
مكاربوس الكبير وقبل تسكها في البرية أقامت بجوار إحدى بحيرات
الظرون بضع سنوات حتى تغيرت ملامحها تماما والتفت بمجاعة وعيال
القديس مكاربوس ، وغيرت اسمها الى دوروثيوس ولم يسكتشف أمرها
الا بعد وفاتها ودفنت شرق الكنيسة في دير القديس مكاربوس .

٤- الراهبة الشهيدة فيرونيا^(١)

حياتها الأولى ورهبنتها:

في أحد ديارات العذارى بمركو أخميم (٢) كانت هناك راهبة

(١) من كتاب

Churches and Monasteris of Egypt, Evetts.

وكتاب تاريخ الكنيسة لمسي يوحنا ، وكتاب السكناش والأديرة
لأبي صالح الأرمني وكتاب المرادة القديسة .

(٢) مدينة إخم الخالية وهي مدينة بانوبوليس القديمة كان لها شأن
كبير في القديم فيذكر التاريخ أن الأنبا باخوميوس أسس ديراً بمحواد
إخم ، ضم نحو أربعمائة من العذارى ، وقد ذكر بلاذوس الذي زار مصر
في أواخر القرن الرابع الميلادي أنه زار ديراً للراهبان قرب إخم .

وقد ذكر E. Amélineau في كتابه

Ceuvres de Shenoudi أنه كان للأنبا باخوميوس ثلاثة أديرة
قرب إخم ، كانت الأنبا شنودة ديراً للراهبان بالقرب من هذه الجهة
كان به عدد كبير من الراهبات .

وما يدل على عظم شأن هذه المدينة أيضاً ما ذكره كتاب السكناش
والأديرة لأبي صالح الأرمني ترجمة . Evetts . في ص ٢٤٢ ، ما يفيد أنه
كان في إخم سبعين كنيسة حتى سنة ١١٥٧ م .

وبذكر التاريخ انه كان في أيام ولاية عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠ م
قرب إخم دير العذارى وكان به ثلاثين عذراء من بينهم العذراء فيرونيا
من الشام كانت قد جاءت الى الدير وأقامت به ثلاث سنوات ، وقد فضلت
الاستشهاد بقطع رأسها من إفساد عفتها .

تدعى فيرونيا ، شابة حذمة بارعة الجمال كرسَتْ نفسها للسيد
المسيح ، وكانت تواظب على الصوم والصلاة والتعب والنسك
والتقشف ، وكانت تتقدم كل يوم في النعمة وتتزايد في القداسة .

كان بالدير ثلاثين راهبة لكنها كانت تفوقين جمالا
وكانت أصغرهن سناً ، قدمت من الشام وكان لها حوالي ثلاث
سنوات ، وامتازت بهدوئها ووداعتها وقداسة سيرتها ، ولما ولج
عساكر مروان الأديرة وصلوا الى هذا الدير فهبوه ووجدوا
بين العذارى هذه الصبية الحميلة جداً ، وما أن وقع بصرهم عليها
حتى بهتوا لجمالها الفتيان فأخرجوها من بين زميلاتنا فسكات
تولول وتسكى بكاء مرأ . ووقع على الجميع خوف وبكاء ونحيب
وقد تركوا الباقيات وشأنهن واختلفوا فيما بينهم ماذا يفعلون بها
وعما اذا كانوا يهدونها للخليفة أو يقرعوا عليها فيما بينهم .

صلاة القديسة وإيقاظ طهارتها :

أما القديسة فطلبت إمامها قليلا ودخلت فلابتها ووقعت على
الأرض شبه المقمى عليها وهي تتوسل الى الرب أن يتدخل
بقوته القاهرة وألا يسمح بتدنيس جسدها بعد أن قدمت قرباناً
طامراً له منذ صباها فأرشدتها الرب الى حيلة بها تنقذ طهارتها ،

أما من فإنها تقدمت ال رئيس الجند وقالت له ان لدى سرأ
أريد أن افضى به اليك وبمقتضاه تتصرون في كل المعارك
والحروب وأرجو الأيمسى أحد بسوء .

قالت أنا أعد الله بطهارتي منذ سنين ولا يجعل بكم أن
تفسدوا عبادتي وإذا أوليتموني هذا المعروف أنا أكاثمكم عوضه
بدواه أصفه لكم بجمي أعتاقكم من السيوف ، فمجبوا ، من
كلامها . قالت ان آباتي كانوا قوما مقاتلين شجعان وكان لديهم
دواء يتدهنون به إذا خرجوا للقتال فكانت السيوف الحادة تكمل
ولا تضر أجسادهم وإن كنتم لا تصدقون فإني أدهن رقبتى به
وليستحضر أشجعكم أحد سيف ويهربي به فلا بد أن يرجع
مغلولاً (وقصدت بذلك أن تدر طريقة للموت دون أن تجس
جسدها الطاهر) .

ثم دخلت فلايتها وأخرجت قنينه بها زيت مقدس كانت
محافظة به فدهنت به رقبتها ووجهها وجسدها ثم جثت وبدأت
تصل وهي تمد عنقها للسياف ، فظن الجهال أن الأمر صحيح
ولم يعلموا ما في قلبها ثم قالت لهم : من كان فيكم قوياً وسيفه
ماض قاطع فليقدم ، فتقدم شاب بسيف كان يفترخ به فسترت

وجهها بردائها وأحنت رأسها وقالت له : اضرب بكل قوتك
ولا تبال ، فضرب عنق القديسة فطارت رأسها فعملوا حينئذ
أنها خدعتهم فندموا وحزنوا حزناً عظيماً ووقع عليهم خوف
شديد ولم يلتفتوا بعدها لراهبة أخرى بل تركوهن ومضوا بعد
أن ردوا للدير ما أخذوه .

هكذا تقدمت للموت العروس الطاهرة في شهامة ومحبة كاملة
وإيمان ثابت في عريسها المسيح فنالت لأكليل الشهادة .
بركة صلواتها تكون معنا آمين ٩

† † †

رهينة العذارى

بعد أن ذكرنا سيرة الراهبة الطاهرة فبرونيا نود أن نذكر طرقات عن رهينة النساء .

شغلت الرهينة المصرية أذهان مؤرخي العالم كله ولم يصلوا بعد إلى نهاية وقد قال المؤرخ العالمى الدكتور عزيز سرريال عطيه فى هذا الصدد : وأنه بالرغم من تلك الجهود المتصلة فى درس تاريخ الرهينة والدبيرة المصرية لا زلنا على عتبة البحث فى هذا الميدان الذى يتجلى لنا يوماً بعد يوم سمة أطرافه وعمق غوره وتشعب أصوله ومنابعه

هذه الرهينة لم تكن قديماً فاهرة على الرجال لحسب بل أن التاريخ يشهد أن العذارى المصرىات ضربن بهنهم وافر فى التعميد والتعسف .

١ - كثيرات تنسكن فى منازلهن محافظات على الطاهرة والبتولية والتعميد ومطالعة الكتب المقدسة .

٢ - تنسك البعض فى بيوت أعدت خصيصاً للعذارى تحت إشراف الكنيسة .

٣ - ترهب : بن آخر فى أديرة خاصة بالعذارى قرية من المدن كأديرة القديسين أنبا باخوميوس وأنبا شنودة فى القرون الأولى ، وأديرة الراهبات الموجودة حالياً بمصر القديمة وحارة الروم - قسم الدرب الأحمر ، وحارة زويلة - قسم الموسكى .

٤ - وكان أعظمهن قوة وشجاعة ومجبة أولئك اللواتى إقتحن الطرق الوعرة إلى الصحراء حيث الكهوف والمغائر وشقوق الأرض ويشهد التاريخ أنه قد توغل عدد ليس بقليل من العذارى فى بيرة شيبب وعجرتن طوعاً لمدن العامرة وتركن الأهل والأقارب والمال وسلكن فى الطريق الضيق السكرب .

ان بعض العذارى المحبات لتسبح سلكن طسريق الرهينة الشاق وكانت أديرة النساء منتشرة فى كل أنحاء القطر المصرى منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن ومرت عليها نفس العوامل التى أدت إلى خراب أديرة الرجال، وكان لهذه الأديرة أيضاً عصرها الذهبى كما كان لأديرة الرجال .

وقد ورد فى مجموع القوانين فى الرهبانات ص ١٤ وما يليها :-

... لا توضع يد على عذراء... ويجب على العذارى أن يتحفظن بالأكثر... ولا تشرب نبيذاً جملة إلا أن تكون مريضة من كثرة الفسك، ولا ترح جسدها أكثر من الحد

فالأطعمة سلاح اللذات ورباط الطهارة أوله الوحدة ...
وليحذرن البطالة والكسل واللواتى ينجسن لسانهن بوقية أو
بكلام انحلال فلا يسمين أرامل ولا عذارى .

ولا يجب للعذراء أن ترفع صوتها إذا تكلمت ولا أن تخاصم
أو تحاكم لأجل مفتقيات هذا العالم وإياها رفضت العالم... ولا يجب
أن تدخل في شيء من الفلق واهتمام العالم أو تمضى إلى موضع
عرس .

ويجب أن تعود لسانها قراءة المزامير وأن تكون عفيفة
وطائعة ومتواضعة

وتسكن العذراء طاهرة في نفسها وجسدها لأنها هيكل الله
ومسكن المسيح وراحة للروح القدس

وورد أيضاً : . . . لما كانت الرهبنة ليست فريضة على
المسيحيين بل هي كالنذر الذى ينذر الإنسان لله تعالى ، إختيار
الرهبان هذه الفضيلة وقدموا كل ما لهم لله حتى ذراتهم قدموها
قرباناً طاهراً وليس لهم أن يتصرفوا بـ أجسادهم ونفوسهم إلا
في طاعة الله وخدمته كالقربان الذى إذا أنذر لله وقدم له لا يجوز
أن يصرف لغير الله وخدمته